

العلاقات الجندرية كأحد أسباب العسكرة والحرب

ترجمة براء سراج الدين، لصالح منظمة النساء الآن من أجل التنمية

موقف نسوي¹

سينتيا كوكبرن

جامعة سيتي لندن، وجامعة وارويك في المملكة المتحدة.

نبذة

بناءً على البحث التجريبي مع منظمات نسائية مناهضة للحرب حول العالم، تستخلص هذه المادّة موقفاً نسوياً معارضاً للعسكرة والحرب. ومن هذا الموقف، تُعتبر العلاقات الجندرية الأبوية تقاطعية مع علاقات السلطة الاقتصادية والعرقية والوطنية في زيادة احتمالية نشوب النزاعات المسلحة في المجتمعات البشرية. تميل النسوية التي تنشأ ضمن النشاط لمناهضة الحرب إلى المقاربة الشمولية وترى الجندر في ظل الأبوية على أنه علاقة سلطة مرتكزة على الإكراه والعنف. تظهر الطبيعة الجندرية للحرب بشكل واضح في الجوانب الثقافية للعسكرة والحرب التي تلمسها النساء الموجودات في ظل نزاع مسلح أو بالقرب منه وفي نظرتهم إلى الحرب على أنها نظام وسلسلة. بالإمكان الاستنتاج من هذه المقاربة للحركات المناهضة للحرب أنه إذا كانت العلاقات الجندرية أحد الأسباب الرئيسية للحرب، فإن وجود برنامج نسوي للتغيير الجندري هو عامل ضروري لتحقيق السلام.

تقوم النساء في الكثير من أنحاء العالم بتنظيم أنفسهنّ في مجموعات وشبكات نسائية لمعارضة العسكرة ومنع الحروب أو إنهاؤها وتحقيق العدالة والسلام المستدام. فُمت منذ مطلع العام 2005 بإجراء بحث تجريبي يتعمّق في قوانين وأهداف وتحليلات واستراتيجيات مثل هذه المنظمات². تضمّن البحث سفر مسافة 80 ألف ميل إلى 12 بلداً في 4 قارات ونتج عنه دراسات حالات لعشر مجموعات مقسّمة حسب الدول و 14 فرعاً للنساء بالأسود في خمس بلدان وثلاث شبكات دولية أخرى: رابطة النساء الدولية للسلام والحرية ومنظمة "Code Pink" وشبكة النساء ضد العسكرة. تبقى هذه عينة صغيرة من حراك التحركات النسائية المناهضة للعسكرة والحرب في عالمنا المعاصر.

سأقوم في هذه المادّة بتلخيص أو تغليف التحليل النسوي الفريد للحرب الذي بدا لي أن النساء يكوّنه من وجودهنّ يقرب النزاع المسلح مصحوباً بشخصياتهنّ كنساء والنشاط الذي انخرطن به. أذكر في هذه المادّة أبرز محاور هذا التحليل أو "القضية القويّة" حول الجندر والحرب، القائل بأن العلاقات الجندرية الأبوية تجعل مجتمعاتنا عرضة للحرب، وأنها قوّة محرّكة للحرب وأحد أسبابها. لا يمكن بالطبع القول أن الجندر هو البعد الوحيد للسلطة وراء الحرب، وليس الهدف التقليل من دور العوامل الاقتصادية المتعارف عليها (تحديداً الرأسمالية المستمرة بالتمدد) ودور العداوات بين المجموعات العرقية والدول والتكتلات (تحديداً

مؤسسة الدولة أو الأمة) كعوامل مسببة للحروب. لا تقوم الناشطات المناهضات للحرب بتصوير العلاقات الجندرية كبديل للواقع بل كجزء جوهري ومنتشاك ولا يمكن تفاديه من الواقع.

موقف نسوي من الحرب؟

تعمقت لمقاربة هذا المجال البحثي في نظريات عن الموقف النسوي أرشدت العديد منّا منذ بضعة عقود من الزمن، والتي هي عبارة عن طريقة تفكير ماركسية حُجبت في الحقبة المحافظة في التسعينات. بدأت نانسي هارتسوك في أواخر السبعينات مستلهمةً من ماركس، إضافة إلى لوكاكس وگرامسكي بإعادة التفكير بمفهوم وعي الطبقة العامة ونشوء "موقف بروليتاري". واقترحوا أن الحياة المادية تصوغ ولكن تضع حدوداً لفهمنا للمجتمع وعلاقاته. من المتوقع أن يكون لدى الطبقة الحاكمة والطبقة العاملة الموجودتين عند طرفي علاقة سلطة مفهومين مختلفين جذرياً عن العالم. حيث أن رؤية الحكام عرضة لأن تكون ناقصة ومشوهة، بينما أن الرؤية المتاحة للمجموعة المضطهدة وأبناء المعاناة قد "تفصح العلاقات الإنسانية على أنها غير إنسانية" مما قد يجعل لها دوراً تحريراً (Hartsock 1983: 232; 1998). باختصار، فإن الموقف هو مفهوم للعالم ينشأ عن (ويتألف من) مجموعة أفراد، وهو مستمد من النشاطات الحياتية ويتم تحقيقه بالنضال. يتعارض الموقف مع الرأي السائد وقد يكون أساساً للحراك المعارض والثوري. قامت هارتسوك لتحديد نشوء حراك نسوي والمساهمة فيه بتطبيق مقاربة ماركسية تاريخية مادية على النشاطات الحياتية للنساء ومؤسسات الهيمنة الذكورية التي تؤثر فيها، على افتراض أن هذه النشاطات أيضاً هي أرضية لنشوء وعي مختلف يشكّل موقفاً معارضاً مختلفاً. كما أظهرت عبر تحليل التقسيم الجنسي لسوق العمل كيف أن نشاط النساء وعملهن في الخدمات والإنجاب والرعاية الغير المدفوع أو ذي الأجر المتدني ينتج موقفاً نسوياً يناقض الفهم السائد للاقتصاد السياسي.

قامت العديد من صاحبات النظريات النسوية في هذه السنوات المثمرة بدراسة أساسيات ادعاء المعرفة (Jaggar 1983; Rose 1983; Harding 1986; Smith 1987). حيث قامت دوناً هاراواي عبر التطرق إلى تعدد وتنوع المواضيع وتجارب الحياة النسوية بتطوير مفهوم جمعي هو "المعارف القائمة"، الذي تؤكد فيه أنه من غير الممكن توليد مفهوم مفيد للمجموعات المحكومة عبر تعميم موقف السيد، لأنه في نهاية المطاف "الرجل، الإله الوحيد الذي تُنتج عينه وترتب جميع الاختلافات" (Haraway 1988; 593). لطالما كانت وجهات النظر المتنوعة من أسفل الهرم والمتجذرة في التجارب الحياتية هي الرهان الأفضل لبناء مفاهيم أكثر مصداقية عن العالم.

ولكن بدا أن "المصداقية" تدعي "الموضوعية". فعلى أي أساس يمكن أن يتم اعتبار هكذا معرفة جزئية أنها موضوعية. قامت هاراواي ومن بعدها ساندر هاردينغ باستعادة الموضوعية للمعارف القائمة. حيث أن هاردينغ قامت عبر إعادة صياغة نظرية الموقف النسوي تماشياً مع سياق ما بعد الحداثة والبنوية بتوضيح أن التخلي عن "هدف إخبار قصة حقيقية واحدة عن الواقع" لا يعني أنه "يجب أن نتخلي أيضاً عن محاولة إخبار عدد أقل من القصص المغلوطة" (Harding 1991: 187). في المقابل فإن العلم لم يكن أبداً خالياً من المبادئ بحسب ادعاء العلماء. من الممكن تحقيق موضوعية أكبر عبر دمج وجهات النظر من أسفل الهرم ببحث تأملي ذاتي يكون من خلاله الباحثون/ات واضحين حيال تسمية أنفسهم/ن وخلفيتهم/ن من حيث

المكانة والمصالح والقيم وحيال الموضوع ومصدر المعرفة بنفس قدر الوضوح حيال العينة المدروسة. لذا سعيثُ في بحثي العملي هذا كما سعيثُ دوماً أن أكون تأملية قدر الإمكان، أدعو نفسي ناشطةً نسويةً مناهضة للحرب لزمّن طويل في بلد داعم للحروب، وباحثةً في عالم أكاديمي غربي أبيض. قمتُ بوضع استراتيجية بحث تعطي أكبر قدر ممكن من التأثير على النصوص الناتجة للنساء التي بحثتُ في نشاطهنّ، عبر استعمال موقع الكتروني ومنتدى الكتروني كأداة للنقاش والتفاوض ومراجعة الكتابات المؤقتة والنهائية (انظر/ي إلى "المقدمة" في Cockburn 2007).

بجميع الأحوال، هل بإمكانني بمصادقية استنتاج أن انخراط النساء وجهاً لوجه مع العسكرة والحرب هو وضع قادر على تشكيل موقف نسوي؟ لقد مالت النسويات الاشتراكيات كهارتمان وويكس وهارتسوك إلى البقاء بالقرب من الفكر الماركسي من خلال التركيز على العمل على أنه النشاط الإنساني الجوهرية. سلّطت هارتسوك الضوء وبنّت موقفاً نسويةً على النشاط المخفي والمهمّش (والضروري رغم ذلك) الموكل إلى النساء في التقسيم الجنسي لسوق العمل. ولكن لم تكن المكانة المنقوصة في سوق العمل هي السمة الوحيدة لتجارب النساء الحياتية، ليس من الممكن أن يؤدي التواجد عند النهاية المستقبلية لعنف جسدي جندي أثناء العسكرة والحرب (وبالتأكيد أثناء السلام المزعوم) والخضوع لإرادة من يملكون وسائل الإكراه أن يولّد أيضاً وعياً نسويةً ما وموقفاً نسويةً معارضاً؟ تعززت قناعاتي أكثر بأن هذا الأمر ممكن بعد أن وجدتُ أن صاحبات نظريات أخريات تعاملن مع جوانب متنوعة لتجارب ونشاط النساء كمصادر للمعرفة: تُظهر أقسام من كتابات حرّرتها ساندرها هاردينغ (2004a) كيف جادلت سارة روديك أن تجربة الأمومة، ودوروثي سميث أن الانخراط الجسدي للنساء في "العالم اليومي"، وماريا مايس وفاندانا شيفا أن بقاء النساء وسؤال معيشتهنّ في العالم الثالث، كيف أنها جميعها تولّد مواقف نسوية. لذا أشعر بالثقة الكافية لإطلاق وصف موقف على نتائج تفاعلي مع مفاهيم الناشطات النسويات المناهضات للحرب والعسكرة والباحثات والكتابات النسويات (العديد منهنّ ناشطات أيضاً) اللاتي وثّقن وحلّلن تجاربهنّ. وفي الواقع أطلقت على الكتاب التقريرية للبحث اسم "من حيث نقف" للدلالة على "الموقف" مع ترك إشكالية في من "نحن" ومكان "حيث" لإبقاء الاحتمالية مفتوحة لأشخاص من ظروف مختلفة فيما يتعلق بالسلطة وأماكن مختلفة فيما يتعلق بالعنف وما تنتجه من مفاهيم مختلفة.

يتطلب تأطير الحرب مفهوماً شمولياً بشكل كبير للسلطة، يأخذ بعين الاعتبار تجارب النساء مع العنف الجسدي بالإضافة إلى تجاربهنّ في سوق العمل وسبل العيش والأمومة وغيرها. إنّ صانعي الحرب والمدافعين عنهم هم رأس ماليّون ولكن ليسوا فقط رأس ماليّين، وذكوريّون وليسوا فقط أبويّين، وهم عنصرّيون للعرق الأبيض ولكنهم أصحاب امتيازات في أنظمة سلطة أخرى (ثقافية- دينية..). قامت كاثي ويكس عام 1998 في مقالها (السعي للشفاء من العداوة بين الحداثة وما بعد الحداثة) بإعادة صياغة نظرية الموقف النسوي، عبر إضافة ما سمّته (الشمولية) أي أن لا يتم النظر إلى أبعاد السلطة على أنها واحدة ولا على أنها قوى متعدّدة منفصلة، ب على أنّها " أنظمة تمتدّ على كامل الطيف الاجتماعي وتتقاطع عند نقاط متعدّدة". قامت ويكس كما هارتسوك ببناء موقفها انطلاقاً من النساء في سوق العمل، بينما أن مفهومها عن "الشمولية الاجتماعي" و "رؤية كامل المجتمع كعملية" بدا لي واعداً بمنظور شامل لأكثر من عمليات انتاج الدخل وسوق العمل فقط.

التفكير بنسوية، فهم الأبوية

وجدت أن الناشطات المناهضات للحرب لا يترددن في تسمية أنفسهن بنسويات، مع بعض الاستثناءات. فلنأخذ على سبيل المثال شبكة (طريق النساء السلمي) على المستوى المحلي في كولومبيا التي تنظم لنهاية نصف قرن من الحرب الداخلية، تقول الشبكة أن النسوية والسلمية هما "الحصنان السياسيان" للشبكة "قادت هذه الأسس النظرية للاعتراف بالحراك كحراك جديد، بسبب وجود الكثير من المغالطات عن كلاً المفهومين في التحركات الاجتماعية التقليدية". (طريق النساء السلمي 2003)³

قد يبدو هذا الربط بالنسوية مفاجئاً في ظل تردد منتشر بين النساء في السياقات الغربية و "المتطورة" لتبني المفهوم بسبب عوامل كثيرة منها الهجوم المضاد الذي يشوه سمعة الحراك (Flaudi 1991; Scharff 2008). بجميع الأحوال فإن هنالك الكثير من الأدلة في السياق العالمي عن استجابات نسوية للظروف مثل ديون دول العالم الثالث و"الإصلاحات" الاقتصادية النيوليبرالية والاستغلال البيئي وغزو رأس المال للمجتمعات الفقيرة، مما يزيد التباينات بين تجارب النساء (مثال Basu 1995).

لذا من المفترض أن لا نتفاجأ لمعرفة أن وعياً نسوياً ينشأ بسهولة من الاحتكاك القريب بالعسكرة والحرب. وجدت أن بعض النساء في سياق مقاومة الحرب حاولن التوصل إلى مفهوم لعلاقات السلطة الجندرية كان لديهنّ اطلاع سابق على موادّ نظرية نسوية عالمية. فعلى سبيل المثال سافرت مجموعة النساء بالأسود في بلغراد بكثرة إلى دول أخرى خلال سنوات حرب يوغسلافيا، وتبادلن الأفكار مع نسويات مناهضات للحرب في اسبانيا وإيطاليا اللاتي استضفن جولات المجموعة النقاشية، ويتحدث تحليلهن المكتوب لحالتهن عن جسم دولي من العمل النسوي يشمل عمل سينتيا إينو وجوديث بتلر وأدريان ريتش ونيرا يوفال-ديفيس (النساء بالأسود بلغراد 2005). وفي نفس الوقت كانت الكثيرات منهنّ مفكرات وكاتبات مؤثرات حيث أن الكثير منهنّ كنّ ناشطات في الحراك النسوي الذي نشأ في المدن اليوغسلافية في الثمانينات. وعندما بدأت القوميات المتنازعة بتقسيم الدولة وجدت هؤلاء النساء أنهنّ خسرن كلّ شيء إضافة إلى ما كسبته كنساء تحديداً، ورأين في ما حصل عودة للعسكرة والقومية وللأبوية أيضاً. ألهم انعدام تبعية هؤلاء النساء المعلّنة للقومية والدولة والكنيسة ناشطات مناهضات للحرب في دول أخرى (Cockbrn 2007: ch. 3).

كانت هناك عضوات في منظمات نسائية مناهضة للحرب من بين اللواتي التقيت بهنّ ممن تحقّرن للوصول لأفكارهنّ بالاستعانة بالجراند والتلفاز، بينما تعلّمت أخريات من بعضهنّ وجمعن الأفكار التي يتم تناقلها على الانترنت ضمن الحراك الدولي. أما في حالات أخرى فكان التشبيك ودعم منظمات مثل منظمة "من أنثى لأنثى" السويدية كان مفيداً في نقل الأفكار النسوية بين مناطق الحروب. بينما كانت شبكات النساء الإقليمية كالتضامن النسائي الإفريقية التي أدت إلى نشوء شبكة نهر مارو النسائية للسلام (MAROWPNET) التي تدخلت لإنهاء الحرب في سيراليون (Cockburn 2007: 24-33).

إدّ ما هو هذا النوع من النسوية؟ يبدو لي أنه شمولي بشكل استثنائي، كونه دولياً بالتعريف، وكونه بناءً اجتماعياً بالضرورة. إذ أنه لا يمكن أن يكون هناك وجود لنظرة للفروق الجنسية على أنها "مسلم بها" مع السعي لتغيير تحوّلي في العلاقات الجندرية. إن وجود رجال سلميّن ونساء يدعمن العنف ينفي أيّ وجهة نظر قائمة بحتمية الاختلاف بين الرجال والنساء لأسباب بيولوجية. على سبيل المثال، فإن النساء في المجموعات الهندية منتدى مناهضة القمع وصوت النساء اللاتي نظمن المبادرة الدولية للسلام في كجرات (انظري 2007: 13-22 Cockburn)، بالكاد تبين وجهة نظر عن النساء أنهن "ميّلات للسلام بطبيعتهن". قد يتمّ النظر إلى المرأة في ظل الثقافة الأبوية المتجذرة في المنظمات الهندوسية المتطرفة في الهند على أنها الزوجة والأمّ المضحية، وبالرغم من ذلك رأينا النساء في مجموعات حركة هندوتفا المتطرّفة في الشوارع يؤنّبن الرجال على "ارتداء الأساور" كي يشجّعنهم على إثبات رجولتهم عبر قتل واغتصاب النساء المسلمات.

كما أن البحث في سياق الحروب جعلنا واعيات تماماً للطريقة التي يتمّ بها قمع واستغلال المرأة من خلال أجسادنا وجنسانيتنا وقدرتنا الإيجابية. إنّ الحرب تزيد من تقسيمات جنسية عميقة بالأصل وتعزّز دور الرجل كمرتكب العنف ودور المرأة كالضحية، تحديداً فإنها تشرّع العنف الجنسي الذكري ممّا يفسح المجال للاغتصابات الجماعية. تزيد الحرب الفجوة بين الأنوثة والذكورة وتعزّز سلطة الرجال بنقطة نوعية. لذا فإن هذه النسوية ترى خضوع النساء على أنه أكثر من مجرد نتاج جانبي لعدم المساواة السياسية أو لنظام اقتصادي استغلالي. ولكن لا بدّ أن يكون للنسوية المناهضة للحرب نطاقاً أوسع من المخاوف، حيث لا يمكن أن لا تنتقد الرأسمالية والأشكال الجديدة من الإمبريالية والاستعمار والاستغلال الطبقي كونها جميعاً من ضمن الأسباب الواضحة للعسكرة والحرب. علاوةً على ذلك فإن الكثير من الحروب تتضمن قوميات ضمن نفس الدولة أو عبر الدول، لذا فمن الضروري أن تكون هذه النسوية مدركة ومناهضة للإقصاء بناءً على العرق أو الدين أو أي من الجوانب الإثنية الأخرى. تؤدّي الانتهاكات في الحرب إلى نشوء حركات نشطة لحقوق الإنسان التي تشمل حقوق المرأة، كما تضمّن النضال للحصول على قرار مجلس الأمن رقم 1325 مطلباً للتمثيل ممّا يشير إلى أن النسوية كان لها أيضاً ما يسمّى بالمطالب الليبرالية ضمن أجندتها المعقّدة. تسعى الكثير من المنظمات والشبكات لخلق هيكليات أفقية وأشكال استباقية للنشاط تفترض مسبقاً نسوية نقدية لمعاني وعمليات السلطة.

بناءً على ما سبق فإنّه من المستحيل أن يكون فكر الناشطات المناهضات للحرب محدوداً بالتصنيفات الضيقة التي نعلبها كنسوية "راديكالية" أو "اشتراكية" أو "ليبرالية". ويُعبّر عن هذه النسوية بشكل أفضل باستخدام مصطلح تشيلا ساندوفال: النمط "التبائني" من الوعي المعارض، لم يكن هذا النمط محصوراً بالنسوية على حد تعبيرها بل كان سائداً في كل الحركات التحررية الكبيرة في أواخر القرن العشرين أن يكون لها الكثير من التوجّهات، وسمّت هذه التوجّهات: المساواة في الحقوق (نحن متساوون ونطالب بالمساواة)، الثوري (نحن مختلفون ونسعى للتغيير الجذري)، الفوقي (نحن مختلفون ونحن أفضل)

والانفصالي (سننبي عالماً أفضل لوحدنا). لا ينفي وجود أحد هذه التوجهات وجود الآخر. إن استخدام ساندوفال لتعبير "تبايني" هو تشبيه لناقل الحركة أي لنسوية تنتقل بذكاء وتكتيك من تحليل لآخر لوضع النساء حسب ما تتطلب الظروف.

كما وجدت أنّ الناشطات المناهضات للحرب بالمُجمل مرتاحاتٍ مع مصطلح "النسوية"، ووجدتُ أيضاً أنّهنّ في نصفي الكرة الشمالي والجنوبي يستخدمون مصطلح "الأبوية" في الكلام اليومي دون تردّد. هنّ يعرفنّ الأبوية جيداً لأنهنّ يعشنّ ضمنها. تضمّ شبكة النساء ضدّ العسكرة مجموعات لها في عديد من الدول من البحر الكاريبي إلى حوض المحيط الهادي، جميعها تعاني من القواعد العسكرية والجنود الأمريكيين وتكنولوجيا الأسلحة والتدمير البيئي المرافق لها. تُدرك هؤلاء الناشطات المطلّعات بشكل جيّد الدور الذي لعبته الأبوية والذكورية في المنطقة. قالت لي أيدا سانتوس من الفلبين أنّ "أساس العسكرة يعزز النظام الأبوي" في إشارة إلى أثر التواجد الأمريكي على العلاقات الجندرية في بلادها، هنّ يدركن دور الذكورية في تعزيز الهيكليات الأبوية. كتبت الشبكة في إحدى منشوراتها: "نحن بحاجة لإعادة تعريف الذكورة والقوة والسلطة والمغامرة، لوضع نهاية ألعاب الحرب وتمجيد الحرب والمحاربين" (Cockburn 2007: 63-70).

قد تدلّ إشارة بسيطة للأبوية بطريقةٍ ما على الفرق بين الناشطات النسويات، والأكاديميات النسويات اللواتي غالباً ما يتردّدن قبل الحديث عن الأبوية. كان من الممكن منذ 30 أو 40 عاماً مضت الشعور بالثقة لاستعمال المصطلح. لقد قمنا بتطوير مفهوم النظام الجندري (Rubin 1975; Connell 1987) كواحدٍ من الأبعاد المهمة للسلطة في المجتمعات البشرية، بينما نظرياً فإنّ تقريباً أي مجموعة من الترتيبات الجندرية أو الجنسية في عالمنا وجميع المجتمعات التي عرفناها كانت مع الاختلافات المؤسساتية أبويةً تمتاز بتحكّم الذكر وتبعيّة المرأة.

ولكن ينوّه الفكر النسوي في الثمانينيات إلى حاجتنا لأخذ المراحل التاريخية لسلطة الذكر بعين الاعتبار والتي يتغيّر شكلها مع تغيّر أنماط الإنتاج ونشوء وسقوط الامبراطوريات. مع إدراكنا عبر مرور الوقت للطرق التي أفسح فيها حكم "الأباء" في النظام الجندري للمجتمع الأوروبي المجال لحكم الرجال بشكل عام (Pateman 1988) وأنّ السلطة الأسرية تفسح المجال للمزيد من التجسيد العلني لسلطة الذكر (Walby 1990)، بدأت كلمة "أبوية" تبدو قديمة بعض الشيء. قد تصف "الأبوية والأخوية" و "الدولة الذكورية" النظام الجندري في أوروبا الغربية اليوم بشكل أدق، ولكنها مصطلحات لم تلق رواجاً. نحن اليوم نعيش واقعاً حاداً جداً ترك الأكاديميين/ات في حيرة لتسميته.

لا يزال مصطلح الأبوية هو المصطلح المستخدم، وهذا لا يعني أنّ الناشطات النسويات المناهضات للحرب غافلات عن تعقيداته وتناقضاته، بل إنّ هذه المواضيع على أرض الواقع محلّ نقاش واسع. على سبيل المثال فإنّ النساء واثقات أنه في الواقع هناك تقسيم جنسي للحرب كما لسوق العمل على شكل تغيير جندي قويّ يودّي إلى تجارب مختلفة حسب الجندر. وفي نفس الوقت فإنّ النساء يدركن وجود الاستثناءات، فبينما أنّ معظم ضحايا الاغتصاب من النساء، هنالك بعض الضحايا من الرجال، وبينما أنّ غالبية الجنود من الرجال، هنالك نسبة متزايدة من الجنديّات النساء. ولكننا نرى أيضاً أنّ الاستثناءات للعرف، كحال من

ينطبق عليهم/ن العرف، تختبر مصيرها الاستثنائي بطرق جندرية في الصميم. تختلف تداعيات الاغتصاب كثيراً بين النساء والرجال، حيث أن الحمل قد يحدث للنساء على خلاف الرجال، الذين يختبرون الاغتصاب كتجربة "تأنيئية" وهي نوع من الصدمات خاص بالهوية الذكرية (Zakrov 2007). أما بالنسبة للتجنيد، يكفي النظر إلى قصة الجنديّة الأمريكيّة كايل ويليامز عن خدمتها في العراق، التي كانت تسعى للمساواة عبر الخدمة العسكرية إلى جانب الرجال، وخرجت من التجربة وهي في نظر نفسها "ساقطة"، والتي هي طريقة نظرة زملائها إليها وتعاملهم معها. تختلف تجربة التجنيد بين المرأة والرجل كما تختلف الصورة عنها (Williams 2005).

لذا، فإنّه عبر دراسة التقسيم الجنسي للحرب وخصوصاً دراسة تقلباته يصبح من الواضح أنّه لا يمكن نسب قضية الجندر كعلاقة سلطة تدرج ضمن الحرب إلى التصرفات الفردية للرجال والنساء. ليس من الحتمي أن الثقافات التي نعيش فيها ستقوم "بتنميط" الأداء الجندري لكل واحدة منّا، بعضنا ينجين، وبعضنا لا يتطابقن مع التنميط، وبعضنا يفشلن في تأدية حياتنا الجندرية "بطريقة لائقة" وبعضنا يقاومن الأعراف الجندرية. ليس هنالك حتميات، فقط احتمالات. تعود القضية بشكل وثيق أكثر إلى العلاقة الجندرية الأبوية بحد ذاتها، والتي هي علاقة ذكورية بين مبدأ ذكريّ متفوق وآخر أنثويّ ثانوي، حيث يتم ربط الذكورة بالتفوق (الترفع عن الاعتيادي) والأنوثة بالملازمة (الانغمار في السياق اليومي) حيث تكون الذكورة مصدر السلطة (de Beauvoir 1953). إنه النظام الجندري المبني على الإكراه والعنف بحد ذاته الذي يظهر في الصورة كعامل مؤثر على الحرب والعسكرة بطرق واضحة ومثيرة للاهتمام.

طريقة للنظر إلى الحرب: ثقافياً، كنظام، كسلسلة

تعلمت عبر الاستماع إلى الناشطات النسويات المناهضات للحرب أن وجهة نظر معينة عن الحرب تنشأ من تركيبة من مكان معين وموقعية معين ضمن النظام. يتلاقى التواجد بالقرب من الحرب جسدياً أو فكرياً بوجود المرأة ضمن الأبوية لتعزيز فهم الدور الكبير للجندر. إن تحليل النساء للحرب هو أقرب لتحليل علماء وعالمات الاجتماع والانسان الحساسين/ات ثقافياً من تحليل مجال العلاقات الدولية الذي على الرغم من تدخل النسويات يميل إلى الحديث لصالح ومن وجهة النظر الذكورة المجردة للسياسيين والجيش. تشدد وجهة النظر التقليدية هذه عن الحرب في هذا السياق المعتم على طبيعة الحرب السياسية والمؤسسية والحسابية والمنظمة، وتميل إلى التقليل من أهمية البعد الثقافي الفوضوي للنزاع المسلح. فعلى سبيل المثال قامت كولين كريتون ومارتين شاو في مقدّمة مجموعة المقالات الشهيرة (علم اجتماع الحرب والسلم) بتلخيص هذا الفهم عبر قول: "العنف ليس قوّة، القوّة ليست عنفاً، العنف ليس قتلاً، القتل ليس حرباً".

هما على حقّ بالتأكيد، إن الحرب ليست عراكاً بالأيدي. على الرغم من ذلك فإنّه بالنظر إلى الحرب كامرأة موجودة داخل الحرب أو بالانتباه كنسويات لتجربة النساء خلال الحرب يصبح من الصعب تحييد العنف أو القوّة "المعتادة" على أنها "ليست حرباً". تقول النساء بوضوح أنهنّ يتعرضن للإكراه من قبل الرجال بطرق متشابهة خلال الحرب والسلم المزعوم. لذا أخبرتني النساء في منظمة (Vimochana) في بنغالور التي يناهض نشاطها عسكرة الدولة الهندية والنزاع الأهلي الديموي الذي يعصف بالهند قائلات "لم نبدأ كنساء

مناهضات للحرب، بل كنساء مناهضات للعنف ضد المرأة. انطلاقاً من ذلك اتخذنا موقفاً مناهضاً للعنف في المجتمع الأوسع"

بينما أن القولية الجنسية المتكررة للحرب ليست كامل القصة إلا أنها مؤشر. تميل النسويّات إلى التعمق ما وراء التمثيل المنمّق للحرب على مستوى "العلاقات الدولية" متجاوزات التردد الأكاديمي للنظر إلى "العنف" ومن ثمّ يتعمّقن إلى مستوى الثقافة حيث نرى العنف واضحاً ليترحن أسئلة عن العلاقات الاجتماعية: أي أنواع من العنف؟ من يمارسها على من؟ وما علاقتها بالهويّات الجندرية والعداوات الجندرية والسلطة الجندرية؟ من وجهة نظر المرأة التي تعيش داخل الحرب، فإن الحرب كمؤسسة تُظهر نفسها على أنها تتشكل وتتجدد ويعاد انتاجها بالعنف كممارسة عادية.

ثانياً فإن الحروب التي تخوضها الجيوش ما هي إلا قمة جبل الجليد لما تحتها من مجموعة المؤسسات والعلاقات الأقل مباشرة ولكنّها ممنهجة. غالباً ما يُنسب مصطلح "نظام الحرب" إلى الكاتبية بيتي ريردون، التي استعملت المصطلح في منشورها (التمييز الجنسي ونظام الحرب) للإشارة إلى المجتمع بكامله "إن نظامنا الاجتماعي التنافسي المبني على أسس سلطوية يفترض قيمةً غير متساوية بين البشر ويتم الحفاظ عليه بالقوة الإكراهية" (Reardon 1996: 10). بينما يصف هذا الكلام العديد من المجتمعات المعاصرة بدقة، إلا أن المنظمات النسائية التي قمتُ بدراستها وبحسب ما توصلتُ إليه من تحليلاتها فهي لا تتشارك بشكل عام تقليص هذا النظام الاجتماعي إلى نظام جندي فقط. وقد يوافقها البعض حسب اعتقادي بأنّ "الذكورية.... اخترعت الحرب وتحافظ عليها للإبقاء على النظام الاجتماعي الذي أوجدته". بينما ترى الناشطات بوضوح شديد من خلال النظر إلى الحرب عن كثب أن هناك قوى أخرى مساهمة بالإضافة للجنر.

في نفس الوقت فإنه من المفيد تصوّر "الحرب" باتباع فكرة النظام كنموذج مفاهيمي على أنها مجموعة من الكيانات المتفاعلة فيما بينها أو التي تعتمد على بعضها المترابطة فيما بينها وظيفياً ولها مُدخلات ومُخرجات، وتمرّ المعلومات عبر وبين حدوده المفتوحة. (للتطبيقات الاجتماعية لنظرية الأنظمة، انظري على سبيل المثال Bailey 1994; Checkland 1997). بالنظر إلى الحرب بهذه الطريقة نرى أنها تتألف من منظمات مترابطة (وزارة الدفاع، شركات تصنيع الأسلحة، أكاديميات التدريب، رؤساء الموظفين وأوامرهم) ومواد (قنابل، سفن حربية، رصاص) وأيديولوجيات سائدة (تظهر في القيم والمواقف والثقافات). النظر إلى الحرب على أنها نظام يعكس مفهوم الناشطات العالميات المناهضات للحرب الموجودات في أماكن مختلفة ولكن يدركن ترابطها والمنخرطات في ممارسات معارضة مختلفة ولكن مترابطة (معارضة تجارة الأسلحة العالمية من لندن، التظاهر خارج وزارة الدفاع في صربيا، أو الاحتجاج على تأثير الجيش على تعليم الأطفال في الولايات المتحدة أو تركيا). كما أن النظر إلى الحرب على أنها نظام يفتح المجال بسهولة لتحليل جندي، حيث أنه يمكن النظر إلى مؤسساتها "كالمجمع الصناعي العسكري" على أنها تتكون من عدة أبعاد للسلطة اقتصادية وقومية وأبوية. بالإمكان ملاحظة التداخل وتدفق

المعلومات بين نظام الحرب وأنظمة اجتماعية أخرى يبدو فيها البعد الجندي ظاهراً على وجه التحديد كالنظام التربوي والترفيه والإعلام.

إذاً تحدثنا عن الحرب ثقافياً وعن الحرب كنظام ويبقى العامل الثالث المهم، وهو أن الحرب هي فقط مرحلة من ظروف مرتبطة ببعضها مشكلة سلسلة. تعلمت أن أرى أثر السلسلة بشكل أوضح من النساء اللواتي التقيتُ بهنّ في أبحاثي (Cockburn 2004). كتبت منظمة طريق السلام على سبيل المثال "نحن النساء الكولومبيات تعبنا من كثير من أنواع العنف: الجسدي وبين الأسري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ومن العنف المسلح كأقصى درجات تجسيد العنف"⁴. كما مفهوم "نظام الحرب" فإن مفهوم "الحرب كسلسلة" ينشأ من ارتباطه بتحريك دولي ولكن من جهات مختلفة من حيث العلاقة بالحرب بتمددها وتقلصها. على سبيل المثال فإن البعض كشبكة النساء ضد العسكرة التي تركز على القواعد العسكرية الأمريكية في المحيط الهادي والبحر الكاريبي هنّ ملّمات بشكل خاص حول العسكرة أو حالة التأهب للحرب، بينما منظمة طريق السلام هي في خضمّ الحرب، بينما أن منظمة ممثلات التغيير في غواتيمالا هي في سياق ما بعد الحرب وتتعامل مع المخلفات الشنيعة لعنف جنسي مسلح شامل، بينما تعمل النساء في شبكة MARWOPNET في سيراليون على تنظيم دوريات نسائية على طول الحدود لمراقبة عبور الرجال والأسلحة والمخدرات لمنع تجدد الحرب (Cockburn 2007: Chapters 1 and 2). إذاً فإن مثل هذه المنظمات والشبكات المنتشرة حول العالم والمترابطة عبر التواصل الإلكتروني تميل إلى رؤية "الحرب" على أنها أكثر من نوبات معارك ولكن كجزء من سلسلة تمرّ من العسكرة (كعقلية موجودة مسبقاً تظهر أشكالها في الفلسفة والمقالات الصحفية والعقول السياسية المدبرة) مروراً بالتجيش (عمليات في الاقتصاد والمجتمع تشير إلى الاستعداد للحرب) وصولاً إلى جولات من الحرب "الساخنة"، ومن ثمّ إلى وقف إطلاق النار، يتبعها غالباً سلام مضطرب يرافقه استثمار مستمر بالجيش ويحيط به عنف متقطع ينذر بجولات جديدة في الدوامة.

في الواقع فإن الكتاب والكاتبات في دراسات الحرب بدورهم/ن يلاحظون/ن أثر السلسلة بشكل متزايد. أظهر ستيف سكوفيلد عام 1994 كيف أن استعداد المملكة المتحدة للحرب لم ينته بانتهاء الحرب الباردة وبقيت العسكرة التي قيست بالإنفاق العسكري حتى التسعينات. واقترح روبرت سميث عام 2006 أنه مع نهاية الحرب الصناعية وحلول نموذج جديد من الحرب "الحرب بين الناس" فإن أثر السلسلة قد ازداد، إن الحرب "لم تعد حدثاً واحداً كبيراً بقرار عسكري يؤدي إلى نتيجة سياسية حاسمة" بل إن "صراعتنا تميل لأن تكون أبدية، كوننا نبحث عن حالة معينة يجب عليها الحفاظ لاحقاً حتى الاتفاق على نتيجة حتمية، الأمر الذي قد يستغرق سنوات أو عقود" (Smith 2006: 17). قام بيردال ومالون عام 2000 بجمع كمية من المقالات التي تقترح أنه في الحروب الأهلية المعاصرة لم تعد هزيمة الخصم هي الهدف بالضرورة، بل إن بعض الأطراف لديهم "مصلحة قويّة في نزاع مستمر" وفي المأسسة طويلة الأمد للعنف. (Berdal and Malone 2000: 2).

أسباب الحرب وأين نبحث عنها

لذا فإن الكثير من الناشطات المناهضات للحرب يرين في العلاقات الجندرية مسبباً للحرب، بينما أن التحليل السائد لا يرى هذه السببية. كيف من الممكن حلّ هذا الاختلاف؟ هل بالإمكان أن المحللين/ات ينظرون إلى ظاهرة مختلفة؟ بجميع الأحوال فإن لفعل "يسبب" الكثير من التصريفات. كتب بريان فوغرتي عام 2000 أن السبب وراء تعدد نظريات الحرب هو أن كل حرب قد يكون لها عدة أسباب: "على أقل تقدير فإن لكل حرب غالباً أسباب مباشرة وأسباب سابقة وشيء مثل "أسباب جذرية" أو "ظروف مواتية" تقف خلفها" (Fogarty 2000: 77). حسب منطق فوغرتي فإن الدوافع الاقتصادية للحرب هي أسباب مباشرة، عادةً ما تكون ظاهرة ومكتوبة في عناوين الأخبار. ما الذي يريده المعتدون؟ وما الذي يدافع عنه المدافعون؟ قد نرى في الحروب المبكرة قبل 5000 سنة حالات سرقة لمحصولات النفط، وفي فترات لاحقة قد نرى مطالبة بالرسوم والضرائب، ثم الموارد المائية، ثم الطرق التجارية. وفي الحروب الثورية الداخلية على سبيل المثال روسيا 1917، قد يكون الهدف السيطرة على وسائل الإنتاج. ومن الممكن اليوم رؤية المعادن الثمينة كعامل مسبب للحروب في أفريقيا، حيث يرتبط استخراج الكولتان والتنتاليت لاستخدامها في الحواسيب والهواتف بالحرب المدمرة في جمهورية الكونغو الديمقراطية. غالباً ما يكون ممكناً ملاحظة مصالح اقتصادية وراء خطاب "الأمن" الذي تمارسه الدول (Blum 2003).

القضايا القومية والإثنية والتعبير عن المصالح الأمنية لمجموعة عرقية أو قومية وعلاقتها بمصالح مجموعات أخرى هي سبب آخر أساسي للحرب (Horowitz; Gurr and Harff; Hutchinson). غالباً ما تكون أسباباً سابقة كما سماها فوغرتي، إن لم تكن سبباً مباشراً. بدأت كغزوات ضد المجتمعات خارج أسوار المدن الأولى والبربر خارج حدود الامبراطوريات الأولى، ومن ثمّ "الكفار"، وبعض الحروب المعاصرة تشنّها مجموعات عرقية متمردة لتنتال الاعتراف ضمن دولة أكبر بحثاً عن المزيد من الاستقلالية أو عن دولتها الخاصة: كالانفصاليين الشيشان الذين يحاولون الخروج من الحكم الروسي بينما يجيش الجيش الروسي لإيقافهم. كيف من الممكن العثور على هذه الأسباب العنصرية للحرب؟ عبر الاستماع إلى ما تقوله الأيديولوجيات ورجال الدين، ما هي البروباغندا؟ ومن ينشرها؟ ما هي المسميات التي يتم المطالبة بها وما هي المسميات التي تُطلق على الآخرين؟

في المقابل، فإن العلاقات الجندرية كسبب للحرب تقع حسب اعتقادي غالباً ضمن تصنيف "الأسباب الجذرية" أو "الظروف المواتية"، ويجب في هذا التصنيف أن ننسبها للثقافة. باستثناء اختطاف الأميرة هيلين إلى طروادة (والمحاولة الزائفة لجورج بوش الابن ولارا بوش لتصوير غزو أفغانستان عام 2001 على أنه حرب لإنقاذ النساء الأفغانيات من قمع حركة طالبان)، فإن الحروب لا تُشنّ "من أجل" قضايا جندرية بالطريقة التي تُشنّ بها "من أجل" موارد نفطية أو استقلال قومي. عوضاً عن ذلك فإن العلاقات الجندرية تعزّز العسكرة والحرب، وتجعل من الحرب أمراً قابلاً للتفكير، وتجعل استدامة السلام أمراً صعباً. كما ذكر سابقاً، فإن النساء القريبات من العسكرة والحرب يلاحظن الثقافات كما تجسّد نفسها في المجتمعات قبل وأثناء وبعد النزاعات المسلحة. إذا اعتبرنا أن نظام الحرب ذو حياة دورية أو تصاعديّة كسلسلة عبر الوقت تمرّ من خطاب الأيديولوجية العسكرية عبر الاستثمار المادي في العسكرة ثمّ صناعة السياسات العنيفة ثمّ اندلاع الحرب ثمّ المعارك القصيرة ثم المآزق طويلة الأمد ثم وقف إطلاق النار ثم السلام المشروط ثم

المخاوف الأمنية ثم إعادة التسلح وهكذا دواليك، وإذا نظرنا إلى العلاقات الاجتماعية التي يفرضها الأشخاص والمجموعات خلال تلك الخطوات المتعددة، عندها بإمكاننا ملاحظة كيف تعمل العلاقات الجندرية في دفع هذه العجلة.

إن الوصف السابق لموقف نسوي ينشأ عن فهم للحرب يناقض الفهم السائد هو مستوحى أولاً وبالأهم من بحثي التجريبي مع المنظمات والشبكات النسائية المناهضة للحرب. ولكن بالترابط الوثيق مع هذا الحراك هنالك أيضاً عالم من الباحثات النسويات (النساء والرجال) اللواتي سعين خلال العقود الثلاثة الماضية لتوثيق المفاهيم التي تنشأ لدى الناجيات من الحرب والناشطات في مكتبة متنامية من الأعمال المكتوبة. تشكّل الكثير من النصوص المجموعة أبحاثاً وتقاريراً عن دول مختلفة وفترات مختلفة (على سبيل المثال Cooke and Woollacott 1993; Lorentzen and Turpin 1998; Moser and Clark 2001; Giles and Handyman 2004). تظهر الدراسات المبينة على الأبحاث أثر العلاقات الجندرية عند نقاط على طول سلسلة العسكرة والحرب. يُظهر روبيرت دين على سبيل المثال في دراسته عن قيادة إدارة كينيدي للولايات المتحدة إلى الحرب مع فييتنام كيف تعمل الذكورية في التحضير للحرب. وتُظهر سوزان جيفوردز عام 1989 في دراستها (إعادة تذكير أمريكا) الجهود لإنقاذ الفخر الذكوري بعد هزيمته عبر تحليلها للأفلام والروايات. تُظهر الكثير من الروايات المباشرة اليوم بتفاصيل مؤلمة كيف أن الذكورية الأبوية خلال التدريب العسكري تساهم في الاستغلال لخوض الحروب وكيف تتم شهوة العنف في المخيلة الذكورية (Theweleit 1987). تصوغ هذه الدراسات مجتمعة النظرة النسوية إلى العلاقات الجندرية الأبوية "كأسباب جذرية" للعسكرة والحرب.

العنف الموروث في أنظمة السلطة المترابطة

هنالك الكثير من الأبعاد التي تتوزّع عليها السلطة في "كامل" المجتمع (Weeks 1998)، أحدها هو العمر، ومنها أيضاً لون البشرة والقوة والقدرة الجسدية أو بُعد الامتيازات في المدينة والريف. من المضمون القول أن هنالك ثلاثة أبعاد للسلطة هي الأكثر تأثيراً وأهمية فيما يتعلف بالحرب والعسكرة: أولها هي السلطة الاقتصادية، وثانيها السلطة العرقية أو القومية المتجسدة في المجتمع ومؤسسات الدين والدولة وقد تكون فوقية العرق الأبيض، والثالثة هي سلطة الجندر. طوّرت الدراسات النسوية طريقة للتطرق إلى هذه التعددية في مصادر السلطة من مفهوم الفرد باستخدام مفاهيم "الموقعية" و "التقاطعية"، قد تبدو هذه تعابيراً قبيحة وأحياناً يتم استعمالها حتى الاستهلاك، ولكنها مفيدة للغاية لأنها تمكننا من رؤية كيف أن رأي الأشخاص بأنفسهم والهوية المكتسبة تتشكل جزئياً بسبب **موقعيتهم** بالنسبة لعدة أبعاد للسلطة وليس لبعد واحد (Anthias 1998). الذي تم التغاضي عنه حسب اعتقادي في السياق "بعد البنائي" أن التقاطعية تعمل أيضاً ودوماً على النطاق الواسع. إن هيكليات السلطة للطبقات الاقتصادية المبينة على ملكية وسائل الإنتاج والسلطة العنصرية للإثنية والقومية المتجسدة في السلطات المجتمعية والدول والتراتبية الجنسية أو الجندرية تشكل جميعها الهيكليات الاجتماعية والمؤسسات والعلاقات الإنسانية. كما أنها جميعاً تخلق مواقعاً من

السلطة النسبية وبذلك تضع الفرص والاحتمالات للأشخاص التي يشغلون هذه المواقع بطرق مختلفة، ولا تنشئ أي من هذه الهيكليات تأثيرها في غياب الهيكلتين الآخرين.

تعني التقاطعية أنه من غير المنطقي محاولة عزل مؤسسات وهيكلية السلطة الجندرية الأبوية عن بعضها. قد يبدو أن الأسرة هي المؤسسة "الحقيقية" والوحيدة بينما أنها ليست كذلك. القليل من المؤسسات إن وجدت تقوم بعمل جندري متخصص، أو حتى عملاً اقتصادياً أو غيره من أعمال "توزيع السلطة" المتخصصة. قد يبدو أن الشركة أو المصرف هي "فقط" مؤسسة اقتصادية، أو أن المسجد أو الكنيسة مؤسسة إثنية ببساطة، وقد تبدو الأسرة على أنها مؤسسة جنس أو جندر فقط، ولكن بالنظر بداخل كل منها نجد أن جميع أنواع العلاقات تعمل في الوقت نفسه: جميعها مؤسسات اقتصادية وإثنية وجندرية مع اختلاف النسب بداخلها. حيث أن معظم الموظفين في المراتب العليا في الشركات رجال، وتتصرف الكنائس بثروات لا يستهان بها، وجميع المؤسسات الدينية التوحيدية معاقل لسلطة الذكر، ولدى نازي التراب والدم مصلحة في استمرار العائلة الأبوية وأمثلة أخرى. من غير الممكن منطقياً فصلها، سواء فصل أبعاد السلطة أو العمليات التي تنتج عنها. هي مختلفة، ويمكن دراستها وتسميتها، ولكنها تقاطعية.

إذا ما علاقة السلطة كمجموعات من المؤسسات والعلاقات التقاطعية بالحرب؟ أعتقد أننا هنا بحاجة لننتقل من البحث التجريبي إلى التأويل أو شيء من هذا القبيل. حيث أن النظام الطبقي المبني على الفوائض الاقتصادية والطبقية العنصرية للمدن والدول والإمبراطوريات والأبوية المؤسساتية ظهرت مع بعضها ضمن فترة تاريخية محددة (بأوقات مختلفة في أنحاء مختلفة من العالم) وكانت مبنية على العنف، وشملت جميعها بناء ذات على علاقة بذاتٍ أخرى دونية ومستغلة: كأجير المالك الغني الذي لا يملك أرضاً، الأجنبي الذي يكرهه المواطنون، المرأة المملوكة من قبل الرجل وتسليعها بالمهر أو أسعار البيع. جميع العمليات في الأمثلة السابقة هي عنيفة بالضرورة، لن يبنى العمال أنظمة تصريف إن لم يكونوا جائعين، ولن يخضع الأجانب لسلطة الآخرين إن لم تكن مدعومة بالإكراه، ولن تخضع النساء دون استعمال القوة. من غير المفاجئ إذاً أن الحرب المؤسساتية وزيادة وتجييش ما يسميها تشارلز تيلي بوسائل الإكراه قد ولدت مع زيادة تكديس الثروات ونشوء الدولة المبكرة وتأسيس الأبوية، والتي دلت على حالة عُرفت "بالحضارة". تُظهر غريدا ليرنر في كتابها (نشوء الأبوية) أن هذا النمط بدأ يحدث منذ نهاية العصر الحجري في المجتمعات التي نشأت في شرق البحر المتوسط. كما تمت ملاحظته أيضاً بعد عدة آلاف من السنين في نصف الكرة الأمريكي. قام ويليام إيكهارت في دراسة شاملة راجع فيها أعمال العديد من المؤرخين عن الحرب بتطوير "نظرية ثورية جدلية" كما يسميها، يقترح فيها كلما ازداد الناس "حضارة" كلما ازدادت قابليتهم للحرب" الحضارة والحرب علاقة يجدها مستمرة في كل الأقاليم وفترات التاريخ. (Eckhardt 1992: 4).

إذاً فالافتراض هنا أن الأبعاد الثلاثة للسلطة تتسبب وتغير شكل وتعيد إنتاج العسكرة والحرب على مدى آلاف السنين. إذا كان أحد أبعاد السلطة يعمل فإن البعدين الآخرين يعملان أيضاً. ولا تغيب عنها دراما الجندر أبداً: يكون فيها الذكر الشخصية الرئيسية، والأنثى هي الشخصية الغريبة، والشخصية الغريبة عابرة جنسياً (التي يراها الرجل في الخارج، والتي يخاف منها في داخله) ،لذا فإن هنالك نقص في نظريات الحرب وأسبابها إن لم تشمل البعد الجندري. على الرغم من ذلك فإن معظم نظريات الحرب في علم الاجتماع

والعلاقات الدولية ينقصها هذا العنصر الهام، وتبدو هذه النظريات لمن يطورها ويطبقها كاملة ومرضية دونه. عندما تأتي النساء والنسويات ونقد أفكارنا لنقاشات وعندما نتحدث عن المرأة والجنس عادة ما يقال لنا أننا نتصرف بنفاهة وننسى "الصورة الكبيرة". تكلمت سينتيا إنوي من موقف نسوي حين قالت بجرأة "ولكن ما إذا كانت هذه هي الصورة الكبيرة؟"

خاتمة: التغيير الجندي كجزء من النضال في سبيل السلام

لتلخيص الطرح السابق: بالنظر عن كثب إلى الحرب من عين عالم/ة اجتماع أو عالم/ة إنسان تظهر الثقافات، تفاصيل ما حدث وقيل. نرى إعلانات الوظائف للجيش، والتدريب، والانضباط وعدم الانضباط، والقتل، والاعتصاب والتعذيب. وإذا كان لدينا موقف نسوي مستوحى من حياة وموت النساء في هذه العاصفة الذكرية، نرى الجندي في الحرب. ومن ثمّ إذا عدنا لتقييم ما يسمى بالسلام، نرى أن الموروث في المجتمعات كالتالي نعيش فيها ذات النظام الجندي الأبوي يتجه إلى ربط الذكورة بالسلطة والإكراه والعنف. إنها ذكورة (وأنوثة تكميلية) لا تخدم العسكرة بشكل كبير فقط، بل تحتاج إلى العسكرة والحرب وتسعى إليهما لإشباعها. بالطبع فإن العنف في الحرب هو منتج بدوره، حيث ينتج عنه هويات إثنية جديدة تصقلها الذكريات المريرة والرغبة بالانتقام. وينتج عنها هويات جنديرية محددة: ذكورات مسلحة، رجال محبطين وغاضبين، أنوثات ضحية، أنواع من النساء المتمكنات لحظياً. ولكن هذه العلاقات الجنديرية التي تصقلها الحرب تعود "بعد الحرب" (وقد يكون قبل الحرب بشكل مساوٍ) وتغذي بشكل دائم السلسلة المتصاعدة للنزاع المسلح، مما يعرض المجتمع دائماً للعنف ويجعل السلام مضطرباً.

لماذا من المهم الانتباه إلى مفاهيم موقف نسوي من الحرب والتطرق إلى احتمالية أن الجندي كما نعرفه يلعب دوراً في نشوء النزاع المسلح؟ لأن هنالك تطبيقات عملية لهذا التفكير في حركاتنا العالمية من الجنسين لنزع السلاح والسلام. في النهاية فإننا جاهزون لنعترف أن مجتمعاً ذي سلام مستدام يجب أن يختلف عن المجتمعات الحالية التي مزقتها الحروب، ويجب أن تكون علاقاته القومية والإثنية أكثر احترام وشمولية. تضيف النساء التي التزمن بمناهضة الحرب بُعداً لهذا التغيير النوعي، فهنّ يطلبن من حركات مناهضة الحرب أن يعترفوا بأن المجتمع يحتاج للسلام المستدام إلى أن يكون مجتمعاً نعيش فيه الجندي بطريقة مختلفة جداً عن كيف نعيشه اليوم.

قامت ريوبين كونيل باستمرار بتحليل ما تخبرنا إياه الدراسات الثقافية عن الذكورة. كتبت عام 2002: "يسيطر الرجال عبر طيف العنف. يجب أن تهتم استراتيجيات نزع السلاح والسلام بهذه الحقيقة وأسبابها ونتائجها للعمل على تخفيف العنف". وأكملت قائلة:

"ليست آليات الجندر بأي شكل من الأشكال القصة كاملة. مع ذلك نظراً لأن الأسلحة وممارسات العنف منتشرة بين الرجال، يبدو بأن أنماط الجندر استراتيجية. تأخذ آليات العنف شكلها في أنواع الذكورة... لذا من الواضح أن استراتيجيات نزع السلاح والسلام يجب أن تشمل استراتيجية للتغيير في الذكورة"

كان عمل كونيل مهماً أيضاً بسبب إظهار التعددية في الذكورة في إشارة إلى أشكالها التدميرية والمهيمنة على حدٍ سواء (Connell 1995). في الدول التي لا تزال فيها الخدمة العسكرية إلزامية للرجال، كان بعض الرجال المثليين من أشد المعارضين السياسيين و "المعتريين الضميريين" بسبب الطريقة التي رفضوا فيها العسكرة والانصياع للأعراف الذكرية للرجولة (Cinar and Utersci 2009).

لذا فإن الرسالة الآتية من المنظمات النسوية المناهضة للعسكرة والحرب والداعية للسلام من النوع الذي درسته هي أن تحالفاتنا العديدة المناهضة للعسكرة والحرب تحتاج لأن تتحدى الأبوية بالإضافة إلى الرأسمالية والقومية. "لا نستطيع أن نقوم بهذا بمفردنا"، تقول النساء. قالت ساره هاردينغ أن:

"كل ما يجب أن يدركه الفكر النسوي يجب أن يعلمه أيضاً لفكر كل الحركات التحررية الأخرى والعكس صحيح. ليس من الواجب أن تدرك النساء فقط في هذه الحركات الأخرى العالم من وجهة نظر حياة النساء. يجب أن يدرك الجميع ذلك إذا أرادت هذه الحركات أن تحقق أهدافها"

ولكن لم يتم الترحيب بالرسالة المنبثقة عن المواقف النسوية من الحرب حتى الآن على الأجنحة السائدة. تضم التحالفات الكبيرة المناهضة للحرب والتي تقودها نزعات يسارية بشكل رئيسي العديد من الناشطات. قد يشارك البعض على المستوى الفردي تحليلاً نسبياً للحرب، ولكن لم يتم السماح لتواجدهن بعد بتشكيل نشاط حركات. حتى يكون التنظيم المناهض للعسكرة والحرب قوياً وفعالاً يجب أن تعارض النساء الحرب ليس كيشر فقط بل كنساء على وجه التحديد. ويجب أن يعارضها الرجال أيضاً في هويتهم الجندرية كرجال ويقاوموا استغلال الذكورة في سبيل الحرب.

Cynthia Cockburn
Visiting Professor
Department of Sociology
The City University London, UK
and
Honorary Professor
Centre for the Study of Women and Gender
University of Warwick, UK
E-mail: c.cockburn@ktown.demon.co.uk

ملاحظات

1. This article derives from papers presented as the Bertrand Russell Lectures, in March 2008, in Hamilton, Ontario. It was also the theme I presented as the first annual Feminist Review public lecture in London in July 2008. I am grateful to the

Centre for Peace Studies at McMaster University, the Keith Leppmann Memorial Fund and the editorial board of *Feminist Review* for these opportunities.

2. The project was action-research in which I engaged both from my academic base in the Department of Sociology at City University London and my involvement as an activist in the international network Women in Black. It resulted in a book, *From Where We Stand: War, Women's Activism and Feminist Analysis*, Zed Books, 2007, and the supporting materials are available on my website www.cynthiacockburn.org. The research was generously supported by grants from the Joseph Rowntree Charitable Trust, the foundation Un Monde par Tous, the Network for Social Change, the Ian Mactaggart Trust, the Lipman-Miliband Trust and the Maypole Fund.

3. My translation. 'Ambas bases teóricas han hecho que se le reconozca como un movimiento novedoso pues con uno y otro concepto han existido pre-juicios en los movimientos sociales tradicionales' (*La Ruta Pacífica de las Mujeres* 2003: 63).

4. My translation. '[L]as mujeres colombianas estamos cansadas de tantas violencias: la sexual, la intrafamiliar, la social, la económica, la política y la armada como su máxima expresión' (*La Ruta Pacífica de las Mujeres* 2003: 75).

المراجع

- Anthias, F. 1998. *Sociological Debates: Thinking about Social Divisions*. London: Greenwich University Press.
- Bailey, K. D. 1994. *Sociology and the New Systems Theory: Toward a Theoretical Synthesis*. New York: State of New York Press.
- Basu, A. (ed.). 1995. *The Challenge of Local Feminisms: Women's Movements in Global Perspective*. Boulder, CO: Westview Press.
- Berdal, M. and Malone, D. M. (eds). 2000. *Greed and Grievance: Economic Agendas in Civil Wars*. Boulder, CO & London: Lynne Rienner Publishers.
- Blum, W. 2003. *Killing Hope: US Military and CIA Interventions since World War II*. London: Zed Books.
- Checkland, P. 1997. *Systems Thinking, Systems Practice*. Chichester: John Wiley & Sons.
- Cinar, O. H. and Usterci, C. (eds). 2009. *Resisting Militarized Society: Conscientious Objection*. London & New York: Zed Books.
- Cockburn, C. 2004. 'The Continuum of Violence: A Gender Perspective on War and Peace', in Giles, W. and Hyndman, J. (eds) *Sites of Violence: Gender and Conflict Zones*, pp. 24–44. Berkeley, CA, Los Angeles, CA & London: University of California Press.
- Cockburn, C. 2007. *From Where We Stand: War, Women's Activism and Feminist Analysis*. London & New York: Zed Books.
- Connell, R. W. 1987. *Gender and Power*. Cambridge: Polity Press.
- Connell, R. W. 1995. *Masculinities*. Cambridge: Polity Press.
- Connell, R. W. 2002. 'Masculinities, the Reduction of Violence and the Pursuit of Peace', in Cockburn, C. and Zarkov, D. (eds) *The Postwar Moment: Militaries, Masculinities and International Peacekeeping – Bosnia and the Netherlands*, pp. 33–40. London: Lawrence & Wishart.
- Cooke, M. and Woollacott, A. (eds). 1993. *Gendering War Talk*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
- Creighton, C. and Shaw, M. (eds). 1987. *The Sociology of War and Peace*. London: Macmillan.
- De Beauvoir, S. 1953. *The Second Sex*. London: Jonathan Cape.
- Dean, R. D. 2001. *Imperial Brotherhood: Gender and the Making of Cold War Foreign*

- Policy. Amherst, MA: University of Massachusetts Press.
- Eckhardt, W. 1992. *Civilizations, Empires and Wars: A Quantitative History of War*. Jefferson, NC & London: MacFarland & Company.
- Enloe, C. 2005. 'What if Patriarchy Is "the Big Picture"? An Afterword', in Mazurana, D., Raven-Roberts, A. and Parpart, J. (eds) *Gender, Conflict and Peacekeeping*, pp. 280–4. Lanham, MD, Boulder, CO, New York, Toronto & Oxford: Rowman & Littlefield Publishers.
- Faludi, S. 1991. *Backlash: The Undeclared War against American Women*. New York: Crown Publishers.
- Fogarty, B. E. 2000. *War, Peace and the Social Order*. Boulder, CO: Westview Press.
- Giles, W. and Hyndman, J. (eds). 2004. *Sites of Violence: Gender and Conflict Zones*. Berkeley, CA, Los Angeles, CA & London: University of California Press.
- Grant, R. and Newland, K. (eds). 1991. *Gender and International Relations*. Milton Keynes: Open University Press.
- Gurr, T. R. and Harff, B. 1994. *Ethnic Conflict in World Politics*. Boulder, CO, San Francisco, CA & Oxford: Westview Press.
- Haraway, D. 1988. 'Situated Knowledges: The Science Question in Feminism as a Site of Discourse on the Privilege of Partial Perspective', *Feminist Studies* 14 (3): 575–99.
- Harding, S. 1986. *The Science Question in Feminism*. Milton Keynes: The Open University Press.
- Harding, S. 1991. *Whose Science? Whose Knowledge? Thinking from Women's Lives*. Milton Keynes: The Open University.
- Harding, S. (ed.). 2004a. *The Feminist Standpoint Theory Reader: Intellectual and Political Controversies*. New York & London: Routledge.
- Harding, S. 2004b. 'Rethinking Standpoint Epistemology: What Is "Strong Objectivity"?' in Harding, S. (ed.) *The Feminist Standpoint Theory Reader: Intellectual and Political Controversies*, pp. 127–40. New York & London: Routledge.
- Hartmann, H. 1979. 'Capitalism, Patriarchy and Job Segregation by Sex', in Eisenstein, Z. (ed.) *Capitalist Patriarchy and the Case for Socialist Feminism*, pp. 206–47. New York & London: Monthly Review Press.
- Hartsock, N. C. M. 1983. *Money, Sex and Power: Toward a Feminist Historical Materialism*. Boston, MA: Northeastern University Press.
- Hartsock, N. C. M. 1998. *The Feminist Standpoint Revisited and Other Essays*. Boulder, CO: The Westview Press.
- Horowitz, D. L. 1985. *Ethnic Groups in Conflict*. Berkeley, CA & London: University of California Press.
- Hutchinson, J. 2005. *Nations as Zones of Conflict*. London, Thousand Oaks, CA & New Delhi: Sage Publications.
- Jaggar, A. 1983. *Feminist Politics and Human Nature*. Totowa, NJ: Rowman & Allenheld.
- Jeffords, S. 1989. *The Remasculinization of America: Gender and the Vietnam War*. Bloomington & Indianapolis, IN: Indiana University Press.
- La Ruta Pacifica de las Mujeres. 2003. *La Ruta Pacifica de Las Mujeres: No Parimos Hijos ni Hijas para la Guerra*. Medellin, Colombia: La Ruta Pacifica de las Mujeres.
- Lerner, G. 1986. *The Creation of Patriarchy*. Oxford: Oxford University Press.
- Lorentzen, A. and Turpin, J. (eds). 1998. *The Women and War Reader*. New York & London: New York University Press.
- Mies, M. and Shiva, V. 2004. 'The Subsistence Perspective', in Harding, S. (ed.) *The Feminist Standpoint Theory Reader: Intellectual and Political Controversies*, pp. 333–8. New York & London: Routledge.
- Moser, C. O. N. and Clark, F. C. (eds). 2001. *Victims, Perpetrators or Actors? Gender, Armed Conflict and Political Violence*. London & New York: Zed Books.
- Pateman, C. 1988. *The Sexual Contract*. Cambridge: Polity Press.
- Peterson, V. S. (ed.). 1992. *Gendered States: Feminist (Re)Visions of International Relations Theory*. Boulder, CO & London: Lynne Rienner Publishers.
- Reardon, B. 1996. *Sexism and the War System*. New York: Syracuse University Press.
- Rose, H. 1983. 'Hand, Brain and Heart: Towards a Feminist Epistemology for the Natural

- Sciences', *Signs: Journal of Women in Culture and Society* 9 (1): 73–96.
- Rubin, G. 1975. 'The Traffic in Women', in Reiter, R. (ed.) *Towards an Anthropology of Women*, pp. 157–210. New York: Monthly Review Press.
- Ruddick, S. 2004. 'Maternal Thinking as a Feminist Standpoint', in Harding, S. (ed.) *The Feminist Standpoint Theory Reader: Intellectual and Political Controversies*, pp. 161–8. New York & London: Routledge.
- Sandoval, C. 2004. 'US Third World Feminism: The Theory and Method of Differential Oppositional Consciousness', in Harding, S. (ed.) *The Feminist Standpoint Theory Reader: Intellectual and Political Controversies*, pp. 195–210. New York & London: Routledge.
- Scharff, C. 2008. 'Perspectives on Feminist (Dis-)Identification in the British and German Contexts: A Performative Approach', Unpublished paper. www.lse.ac.uk/collections/newFemininities/Perspectives%20on%20feminist%20dis-identification,%20feminist%20review%20format.pdf (accessed 9 May 2009).
- Schofield, S. 1994. 'Militarism, the UK Economy and Conversion Policies in the North', in Tansey, G., Tansey, K. and Rogers, P. (eds) *A World Divided: Militarism and Development after the Cold War*, pp. 44–66. London: Earthscan Publications.
- Smith, D. 1987. *The Everyday World as Problematic: A Feminist Sociology*. Boston, MA: Northeastern University Press.
- Smith, D. 2004. 'Women's Perspective as a Radical Critique of Sociology', in Harding, S. (ed.) *The Feminist Standpoint Theory Reader: Intellectual and Political Controversies*, pp. 21–34. New York & London: Routledge.
- Smith, R. 2006. *The Utility of Force: The Art of War in the Modern World*. Harmondsworth: Penguin.
- Theweleit, K. 1987. *Male Fantasies*, Vol. 1. Cambridge: Polity Press.
- Tickner, J. A. 1992. *Gender in International Relations*. New York: Columbia University Press.
- Tilly, C. 1992. *Coercion, Capital and European States AD 990–1992*. Cambridge, MA & Oxford: Blackwell.
- Walby, S. 1990. *Theorizing Patriarchy*. Oxford: Basil Blackwell.
- Weeks, K. 1998. *Constituting Feminist Subjects*. New York: Cornell University Press.
- Williams, K. 2005. *Love my Rifle More Than You: Young and Female in the US Army*. London: Weidenfeld & Nicolson.
- Women in Black Belgrade. 2005. *Gender, Nation, Identity*. Belgrade: Women in Black.
- Zarkov, D. 2007. *The Body of War: Media, Ethnicity and Gender in the Break-up of Yugoslavia*. Durham, NC & London: Duke University Press.

